نـداءات المؤمنيـن فـي سـورة المائدة وعلاقتها بمحور السورة

"The Vocative Addresses to the Believers in Surah Al-Mā'idah and Their Relation to the Central Theme of the Surah

إعداد

د. خالد أحمد النعانعة

Dr. Khaled Ahmad Al-Na'anah

Assistant Professor, College of the Qur'an and its Sciences – Islamic University of Minnesota

Instructor, Ministry of Education and Higher Education – Qatar

Tel: 6706 7076 974+

Khalednaanah1979@yahoo.com

k.alnaanah0102@education.qa

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
Islamic University of Minnesota
IUM المركز الرئيسي

ملخص

يشكّل أسلوب النداء أحد أبرز الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، لما يحمله من دلالات تنبيهية، وتشريعية، وتربوية، تُخاطب العقل والقلب في آنٍ واحد. وقد تميزت سورة المائدة بكثرة هذا الأسلوب، حيث تكرّر النداء الإلهي للمؤمنين ست عشرة مرة، ما يجعل منها السورة الأكثر توجيهًا للمؤمنين بهذا الأسلوب. ويأتي هذا البحث ليتناول النداءات الواردة في سورة المائدة من حيث صيغها، وسياقاتها، ودلالاتها، وما تحمله من توجيهات ربانية تتصل بمحور السورة العام المتمثل في الوفاء بالعقود والمواثيق. في سعى إلى إبراز كيف ترتبط هذه النداءات ببناء العقيدة، وضبط السلوك، وتحقيق الالتزام الأخلاقي، مما يُظهر التكامل بين الشكل البلاغي والمضمون التشريعي في الخطاب القرآني، ليعكس روعة البيان الإلهي في توجيه الأمة نحو الطهارة الإيمانية والاجتماعية.

كلمات مفتاحية: النداء، محور السورة، العقود، المواثيق، السياق.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

Abstract

The style of vocative expression (addressing others directly) is one of the most prominent rhetorical techniques in the Holy Qur'an, due to its connotations of alertness, legislation, and education. It appeals to both the mind and the heart simultaneously. Surah Al-Ma'idah is particularly notable for its frequent use of this style, with divine calls to the believers repeated sixteen times—making it the surah with the most direct addresses to the believers using this method.

This study explores the vocative expressions in Surah Al-Ma'idah in terms of their forms, contexts, and meanings, as well as the divine guidance they convey, which relates to the central theme of the surah: fulfilling covenants and agreements.

The research aims to highlight how these vocative expressions contribute to building faith, regulating behavior, and achieving moral commitment. It showcases the harmony between rhetorical form and legislative content in the Qur'anic discourse and reflects the eloquence of divine expression in guiding the Muslim community toward spiritual and social purity.

Keywords: Vocative expressions, Surah theme, covenants, agreements, Context.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدى ورحمة، وجعل فيه شفاءً لما في الصدور، والصلاة والسلام على من بُعث بالحق بشيرًا ونذيرًا، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإنَّ القرآن الكريم هو أعظم خطاب إلهي خُوطب به البشر، تَجلَّت فيه روعة البيان، وسمو المعاني، ودقة المقاصد، ومن بين أساليبه البلاغية البارزة -التي تثير انتباه المستمع وتستوقف المتدبّر، أسلوب النداء؛ ذلك الأسلوب الذي يستحضر المقام ويكشف المقصود، فيوقظ الغافل، ويُعلي شأن المخاطب، ويُحدِّد الغاية من الخطاب بدقة وإحكام.

وتُعدّ سورة المائدة من السور المدنيّة التي حفلت بنداءات متكررة، خُصَّ بها النداء الإلهي لبني آدم عامة وللمؤمنين خاصة، فجاءت صِيَغ النداء فيها مُحمَّلة بالمعاني التشريعية، والتحذيريّة، والتوجيهيّة، مما يعكس عمق المقصد الرباني في تهذيب النفوس، وتنظيم المجتمع، وتحقيق العدالة.

أولًا: أهمية الدراسة.

تعدّ سورة المائدة من السور التي حوت موضوعاتٍ تشريعية عظيمة، وتميّزت بكثرة أساليب النداء، ولا سيما النداء الإلهي الذي وُجِّه إلى المؤمنين خاصة. ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على أسلوب النداء في هذه السورة من حيث الصياغة والمضمون، وربطه بمحور السورة العام الذي يتمحور حول الوفاء بالعقود والمواثيق، وإرساء أسس الالتزام الأخلاقي والديني في المجتمع الإسلامي. وتبرز أهمية هذا البحث في:

أ الكشف عن البنية الأسلوبية للنداء في سورة المائدة وأثرها البلاغيّ والتربويّ.

ب إبراز العلاقة الموضوعيّة بين ألفاظ النداء ومضامين السورة

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ومحورها الرئيسي.

ج بيان كيف يُسهم تكرار النداء وتنوعه في ترسيخ المفاهيم العقدية والتشريعية لدى المسلمين.

د المساهمة في إثراء الدراسات القرآنية التطبيقية التي تربط بين الأسلوب والمضمون.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث؛ حيث يتناول النداء في سورة المائدة من حيث أنواعه، وألفاظه، ودلالاته، وسياقاته، وما يحمله من مضامين شرعيّة وتربويّة، راجيًا أن يُسهم هذا الجهد المتواضع في بيان روعة الخطاب القرآني وجلال معانيه.

ثانيًا: مشكلة الدراسة.

بالرغم من وضوح كثرة النداءات في سورة المائدة، فإن الدراسات التي تناولت هذه النداءات بالتحليل الأسلوبي، والربط الموضوعي بمحور السورة ما تزال قليلة ومحدودة. وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما وظيفة النداء في سورة المائدة؟ وكيف يخدم محور السورة المتمثل في الوفاء بالعقود والمواثيق؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيس عدة تساؤلات فرعيّة، من أبرزها:

- ما أنواع النداءات الواردة في سورة المائدة؟ ولمن وُجِّهت؟
- ما العلاقة بين مضمون النداء وسياق الآيات؟
- كيف يساهم النداء في تعزيز القيم المحوريّة التي تدعو إليها السورة؟

ثالثًا: أهداف الدراسة.

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ تحليل الأسلوب الندائي في سورة المائدة من حيث الصياغة، والوظيفة البلاغية.

ب تحديد موضوعات النداءات ومضامينها التشريعيّة، والتربويّة، والعقديّة.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ج ربط نداءات المؤمنين بمحور سورة المائدة العام.

د إبراز الوظيفة التربويّة للنداءات الإيمانيّة، في تربية المجتمع المسلم على الالتزام والمسؤولية.

خامسا: الدراسات السابقة.

❖ النداءات الربانية في سورة المائدة - دراسة موضوعية. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، الباحثة: هنية بيّة، الجامعة: جامعة الوادي، الجزائر، السنة: ٢٠١٧م.

تُركّز الدراسة على تحليل النداءات الإلهية في سورة المائدة، حيث تم رصد ستة عشر نداءً موجهًا للمؤمنين، ونداءين موجهين للرسول ﷺ، وخمسة نداءات موجهة لأهل الكتاب. تُبيّن الدراسة أن هذه النداءات تتنوع بين الأمر والنهي والاستفهام، وتُظهر أهمية الوفاء بالعقود والمواثيق. كما تُسلّط الضوء على دور هذه النداءات في توجيه السلوك الإيماني والتشريعي للمجتمع المسلم.

❖ نداءات الإيمان في سورة المائدة ودلالتها في السياق، الباحثة: أ.د. ليلى محمد العقيل. المجلة العالمية للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد ٥ العدد ٥٥ سنة ٢٠٢٢م .

تُركّز هذه الدراسة على تحليل نداءات الإيمان في سورة المائدة، حيث تم رصد ستة عشر نداء موجهًا للمؤمنين. تُبيّن الدراسة أن هذه النداءات تُستخدم لتحفيز المؤمنين على اتّباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وتُظهر دلالتها في السياق القرآني.

❖ عناصر الاتساق في سورة المائدة - تكرار النداء نموذجا، الباحثة: زهراء عبد الأمير السلامي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مجلد ٢ العدد ٥٤/ ج ٢، سنة ٢٠١٩.

تتحدث الدراسة عن التماسك النصيّ في سورة المائدة، من ناحية تماسك نسيجها، والتركيز على العناصر التي أسهمت في تكامل هذا النسيج، ومن أهم عناصر الاتساق في هذه السورة الكريمة عنصر التكرار الذي يتمثل بالنداء؛ وما لهذا النداء المتكرر في هذه السورة من تكوين نسيج متكامل من التنبيهات للمكلف.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

❖ أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية بلاغية في سورة المائدة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، الباحثة: راضية النجوى، الجامعة: جامعة إنتاساري، إندونيسيا، السنة: ٢٠١٥.

تُركّز هذه الرسالة على تحليل أسلوب النداء في سورة المائدة، حيث تم رصد (٣٦) آية تحوي على نداء. تُبيّن الدراسة أن أدوات النداء تتنوع بين «يا» و» يَا أَيُّهَا»، وتُستخدم لتحقيق أغراض بلاغية متنوعة مثل الأمر والنهي والاستفهام. كما تُحلّل معاني هذه الآيات في سياقاتها المختلفة.

ما الذي تضيفه الدراسة -التي بين أيدينا- إلى الدراسات السابقة؟

يتفرّد هذا البحث عن الدراسات السابقة من خلال منهجه الذي يسعى إلى الربط بين النداءات الوارد في آيات سورة المائدة وبين المحور الرئيس للسورة وموضوعها العام؛ الذي يتحدث عن العهود والمواثيق وما ينبغي على المسلم العمل به والمحافظة عليه، إذ لا يقتصر على تحليل النداء من الجوانب اللغوية أو البلاغية فحسب، بل يتناول أيضًا ما ينطوي عليه من دلالات معنوية وتربوية تتكامل مع السياق الكلي للسورة، مما يضفي بُعدًا تفسيريًا أعمق ويُسهم في الكشف عن وحدة السورة الموضوعية.

رابعاً: حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على تتبّع نداءات «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» الواردة في سورة المائدة، وتحليلها من حيث علاقتها بموضوع السورة ومحورها الرئيس، دون التطرّق إلى الدلالات اللغوية أو البلاغية أو البحث والتحليل لتفسير الآية التي جاء فيها النداء وما فيها من علوم أخرى. كما لا تتناول الدراسة المقارنة مع نداءات مشابهة في سور أخرى، إذ يتركّز نطاق البحث داخل سورة المائدة فقط، في إطار إبراز مدى الاتساق بين النداءات ومحور السورة العام.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

خامسًا: هيكل الدراسة:

جاء البحث في مقدّمة ومبحثين وخاتمة على النّحو الآتي:

المقدّمة: اشتملت على أهميّة البحث، وأهدافه، والدّراسات السّابقة، وحدود البحث، وخطّته.

- **المبحث الأوّل:** التّأطير النّظريّ، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأوّل: مكونات أسلوب النداء.
  - المطلب الثّاني: معلومات عامة عن السورة.
- **المبحث الثاني:** موضوعات النداء في سورة المائدة، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأوّل: أحكام تخص المؤمن في بنائه إيمانيًا وعقائديًا.
  - المطلب الثّاني: أحكام تخص المسلم في عباداته.
  - المطلب الثّالث: أحكام عمليه في معاملاته.
  - المطلب الرابع: بناء المؤمن، وإعداده تربويًا، وسلوكيًا وأخلاقيًا.
- **الخاتمة:** تناولت أبرز النّتائج التي توصّلت إليها الدّراسة، والتّوصيات.

وفي الختام ما كان مِن صوابٍ فَمِن الله وحده، وما كان مِن خطأ فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، والله المستعان.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المبحث الأول: التّأطير النّظريّ.

المطلب الأول: مكونات أسلوب النداء.

أولًا: تعريف النداء لغة واصطلاحا:

- النداء في اللغة.

هو: الدعاء بأي لفظ كان، وناداه مناداة ونداءً، أي: صاح به، «والنداء» بالضم والكسر.

قال الجوهري: «النِداءُ: الصوت، وقد يُضم مثل الدُعاءِ والرُغاء. وناداهُ مُناداة ونداء، أي صاح به.»[1]

وقال الراغب الأصفهاني:» رفْعُ الصَّوت وظُهُورُهُ، وقد يقال ذلك للصَّوْت المجرَّد. وأصل النِّداء من النَّدَى، أي: الرُّطُوبة، يقال: صوت نَدِيٌّ رفيع، واستعارة النِّداء للصَّوْت من حيث إنّ من يَكْثُرُ رطوبةُ فَمِهِ حَسُنَ كلامُه، ولهذا يُوصَفُ الفصيح بكثرة الرِّيق، ويقال: نَدًى وأَنْدَاءٌ وأَنْدِيَةٌ، ويسمّى الشَّجَر نَدًى لكونه منه، وذلك لتسمية المسبَّب باسم سببِهِ.»[2]

وخلاصة القول إنَّ النداء في اللغة: مصدر الفعل نادى ينادي، مناداة بمعنى الصوت، والدعاء، والصراخ، فهي ثلاثة لمدلول واحد وهو النداء.

- النداء في الاصطلاح.

اختلفت وجهات نظر النحويين حول معنى النداء، فالبعض يعرّفه وظيفيًّا، والآخر يعرّفه حسب أحواله الإعرابية.

وما يهمنا في هذا البحث تعريفه وظيفيًا، وقد عرّفه بذلك ابن عقيل فقال: «النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء، ملفوظا كان حرف النداء أو ملحوظا».[3]

وعرّفه الزركشي فقال: «النداء إقبال المدعو على الداعي بحرف

1- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج6، ص 2505.

2- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج1، ص796-797.

3- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ج3، ص255.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

مخصوص».[4]

وعُرّف أيضًا» النداء هو إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة، ينوب كل حرف منها من الفعل (أدعو)» [5]

والإقبال يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي، المقصود به الإجابة كما في نحو: يا الله.[6]

إذًا الحاصل أنَّ النداء هو طلب المنادى بأحد حروف النداء، والحرف قد يكون ملحوظا، كقوله تعالى: {يا آدم، يا مريم} وقد يكون مقدرا نحو قوله تعالى: {يوسف أعرض عن هذا} [يوسف: ٢٩].

ثانيًا: أدوات النداء.

قال الزمخشري في المفصّل: «وهي: يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، و وا. فالثلاثة الأول لنداء البعيد أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه، فإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادى على إقبال المدعو عليه و مفاطنته لما يدعوه له. وأي الهمزة للقريب، و وا للندبة خاصة.

وقول الداعي: يا رب ويا الله، استقصار منه لنفسه، وهضم لها واستبعاد عن مظان القبول والاستماع، وإظهار للرغبة في الاستجابة بالجؤار».[7]

أما حرف النداء (يا) والذي هو موضوع النداء في دراستنا هذه، فهو يختص من بين حروف النداء بما يأتي:[8]

1. تدخل على لفظ الجلالة (الله) فنقول: يا الله.
2. يتعين بنداء (أي) في (أيها وأيتها فنقول: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}، يا أيتها المؤمنات).
3. تستعمل كذلك للندبة.
4. تستعمل أيضًا للتنبيه دون غيرها من حروف النداء.

4- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2ن ص323.

5- علم المعاني والبيان، عفيف، ص114

6- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الصبان ، ج3، ص197.

7- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، ج1،ص413.

8- ينظر، النحو العربي، بركات، ج4، ص 12

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

5 هي الأشْهَر من بين حروف النداء.

6 وهناك مزيد من الاختصاصات لم أذكرها لعدم مناسبتها لهذه الدراسة.

ثالثًا: أقسام النداء في القرآن.

يقسم النداء في القرآن الكريم إلى سبعة أقسام، وهي:

1 نداء تنبيه مع مدح، كقوله تعالى: {يا أيها النبي}، {يا أيها الرسل}، {يا أيها الذين آمنوا}، «يا أولي الألباب»، فقد خاطب هذه الطائفة مدحًا لهم وتشريفًا لمكانتهم وتميزهم.

2 نداء تنبيه مع ذم، كقوله تعالى: {يا أيها الذين كفروا}،{يا أيها الذين هادوا}،{يا بني إسرائيل}، فهذا النداء يحمل في طياته الذم والإهانة والتوبيخ.

«وهذا عندما يكون الحديث عن قضية خاصة أو تشريع يخص فئة معينة من الناس، فيكون التعبير عنها من المعارف لأجل تخصيص المنادي، وتخصيص الحكم الذي يتبعه، ويكون غيرهم تابعًا لهم.»[9]

3 نداء جاء للتنبيه المطلق من غير مدح أو ذم كقوله تعالى: {يا أيها الناس} و{يا أيها الإنسان}، والاستخدام في معظم الأحيان يكون ما يدعوا به المنادى مهما عظيما.

4 نداء إضافة كقوله تعالى: {يا عبادي الذين آمنوا}.

5 نداء نسبة كقوله تعالى: {يا بني إسرائيل} و{يا بني آدم} و{يا نساء النبي}.

6 نداء التسمية كقوله تعالى: {يا إبراهيم أعرض عن هذا} و {يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض}.

7 نداء التخصيص كقوله تعالى: {يا أهل الكتاب}.

رابعًا: أغراض النداء.

يُعدّ النداء من الأساليب البلاغية المهمة في اللغة العربية، وقد ورد بكثرة في القرآن الكريم لخدمة أغراض متنوعة، تتجاوز مجرد

9- النداء في القرآن الكريم، الجبالي ص64.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

التنبيه أو الاستدعاء الظاهري، إلى مقاصد بلاغية أعمق وأدقّ. وتكمن أهمية دراسة النداء في الوقوف على مقاصد الخطاب، وفهم الأبعاد النفسية والأسلوبية التي يحملها.

ومن أبرز الأغراض البلاغية للنداء:[10]

1. الدعاء: كأن تقول: «يا الله نصر للمؤمنين».
2. التنبيه والإيقاظ الذهني: يُستخدم النداء أحيانًا لتنبيه المخاطب إلى أمر جلل أو مهم، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}. النداء هنا ليس لمجرد الطلب، وإنما لتنبيه المؤمنين إلى أمر جليل سيُذكر بعده.
3. التحبيب أو التعظيم أو التحقير: فيأتي النداء للتعبير عن الحب أو الاحترام كما في نداء المؤمنين، والذي هو مشحون بالعاطفة واللطف، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ....﴾ [البقرة: ١٨٣]، ويأتي أيضًا للتحقير كقول عتبة بن أبي سفيان مخاطبًا أهل مصر، وقد بلغهم خبر أغضبه: أيا حاملين الأم أنوف ركبت بين أعين.[11] وذلك حسب العلاقة بين المتكلم والمنادى، والسياق الحواري.
4. التحذير والتنفير: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ..﴾ [المائدة: ٥١]، حيث يأتي النداء لتحذير المخاطب من أمر خطير.
5. التوبيخ أو اللوم: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، حيث يأتي النداء في سياق عتاب شديد.
6. التفخيم والتعظيم: خاصة في نداءات الله تعالى للأنبياء، مثل: «يا موسى»، «يا عيسى ابن مريم»، حيث يُراد بها إظهار مكانة المنادى.
7. التشريف والتكريم: كما في نداء المؤمنين بكامل الوصف الإيماني، إعلاءً لمقامهم ورفعًا لمنزلتهم.
8. الاستعطاف أو الاسترحام: كما يظهر في دعاء العبد لربه، كقوله:

10- ينظر، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، ج1، ص474، والبلاغة فنونها وأفنانها، عباس، ص168.

11- ينظر، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، صفوت، ج2، ص221.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

﴿... رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إنَّ الغرض البلاغي للنداء يتحدد من خلال العلاقة المباشرة بين المنادي والمنادى عقب صدور التعبير الندائي. فإذا كان التركيب اللغوي للجملة الندائية يحمل مقاصد واضحة ومباشرة دون الحاجة إلى قرائن خارجية، فإنَّ الغرض يكون أصليًا، ويتمثل في تنبيه المنادى وإعداده لتلقي ما سيطلب منه لاحقًا. وفي هذا السياق يقتصر دور الجملة الندائية على التنبيه والاستحضار، وتؤدي وظيفة إشارية تحضيرية.[12] وتُوظف هذه الأغراض البلاغية بما يتناسب مع السياق العام للنص، وتخدم المعنى المقصود من الخطاب، كما تُسهم في التأثير العاطفي والنفسي على المتلقي، وهو ما يجعل أسلوب النداء في القرآن الكريم من الأدوات البلاغية بالغة الأهمية والدقة.

المطلب الثاني: معلومات عامة عن السورة.

أولًا: اسمها وعدد آياتها.

ذكر المفسرون أنَّ سورة المائدة سُميت بهذا الاسم لما ورد فيها من ذكر للمائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام لتدل على صدق نبوته، وتكون عيدًا لهم، وإنَّ قصة المائدة هو أعجب ما ذكر في السورة، حيث قال الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣)﴾[المائدة: ١١٢-١١٣].[13]

هذا هو السبب الظاهر لهذه التسمية، ولكن السؤال هل هناك من سبب آخر سُميت سورة المائدة بسببه؟ هل هناك علاقة بين هذا الاسم وبين المحور العام لهذه السورة؟

ولعلنا عند الحديث عن المحور العام للسور نبين هذ الرابط، ونتطرق لهذا الملحظ.

وتعدّ سورة المائدة سورة مدنية بالإجماع، وهي من السور الطوال،

12- ينظر، النداءات الربانية في سورة المائدة، بيه، ص 13.

13- ينظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج6، ص1. محاسن التأويل، القاسمي، ج4، ص3.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وعدد آياتها مئة وعشرون آية في العدّ الكوفي، وترتيبها في المصحف الخامسة بعد سورة النساء.[14]

ثانيًا: المحور العام للسورة.

إن أبرز ما جاء في سورة المائدة هو الوفاء بالعهود والمواثيق، وهذا ما تطالعنا السورة به عند البدء بندائها الأول حيث يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾. [المائدة: ١]

عند تأملنا في تسمية هذه السورة بـ «سورة المائدة»، ونظرنا في الموضع الذي ورد فيه ذكر المائدة، ندرك مدى الارتباط بين الاسم والمضمون. ففي أحد أهم مشاهد السورة، يرد طلب الحواريين إلى عيسى عليه السلام أن يسأل ربه إنزال مائدة من السماء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢].

ويُختَتم هذا الموقف الإيماني العظيم بآية تحمل تحذيرًا شديدًا وميثاقًا إلهيًّا صارمًا، إذ يقول الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

فالمائدة لم تكن مجرد استجابة لرغبة، بل كانت امتحانًا إلهيًّا عظيمًا، عُقِدَ فيه عهد بين الله وعباده: إن هم أوفوا بالإيمان والتقوى، نالوا الخير والبركة، وإن نقضوا كان العذاب جزاءً لا مثيل له. وهكذا اكتسبت السورة اسمها من هذا الحدث الفارق، الذي جمع بين الرحمة والابتلاء، وبين الرجاء والخوف.

وقد أخذ الله ﷻ على الأمة الإسلامية كذلك عهودًا ومواثيق عليها أن تلتزم بها ولا تنقض عهدها مع الله تعالى، ونجد ذلك في الآية المحوريّة في هذه السورة، وهي قوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا..﴾ [المائدة: ٣]،

14- ينظر، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ج3، ص221.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

فكمال الدين يتطلب الأخذ به كاملًا لاسيما ما جاء به من تشريعات ومواثيق بين الإنسان وربه، ونفسه، والمجتمع.

ونجد ذلك حاضرًا بين ثنايا السورة وما حوته من نداءات، حيث يمثل كل نداء ميثاقًا مع الله تعالى، وينتقل بنا من حكم إلى حكم في علاقة وثيقة بين المؤمن وربه، وكذلك نفسه ومجتمعه.

فكل نداء بـ {يا أيها الذين آمنوا} يتضمن عهدًا مختلفًا عن الآخر ونحن مأمورون أن نلتزم به.

وبنظرة أخرى نجد العلاقة الوطيدة بين اسم السورة (المائدة) وبين محورها الرئيس حيث تدل المائدة على الاجتماع، والألفة والمحبة، وكذلك تدل على الحجة والدليل، والمنافع والخير لمن يجتمع حولها.

فقصة المائدة تمثل حجّة حسية على بني إسرائيل، واختبارًا لإيمانهم بعد طلب آية خارقة. أمّا تشريعات سورة المائدة، فهي حجّة تشريعية على أمة الإسلام، تنزلت مع ختام الرسالة وتمام الدين، اختبارًا لطاعتهم للشرائع دون الحاجة إلى آيات حسية.

والربط بينهما يدل على وحدة السنة الإلهية في الابتلاء بالوحي، فكما ابتُليت الأمم السابقة برؤية الآيات ثم محاسبتهم عليها، فإنّ أمة الإسلام قد ابتليت باتباع شريعة محكمة مكتملة، ومن خالفها كان كمن كفر بعد رؤية المائدة.

ثالثًا: موضوعات السورة.

تناولت سورة المائدة جانبًا من التشريعات بإسهاب إلى جانب العقيدة وقصص أهل الكتاب، يقول سيد قطب -رحمه الله-:« ويتضمن سياق السورة أحكامًا شرعية منوعة: منها ما يتعلق بالحلال والحرام من الذبائح ومن الصيد.

ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام في فترة الإحرام وفي المسجد الحرام، ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام من النكاح، ومنها ما يتعلق بالطهارة والصلاة. ومنها ما يتعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه، ومنها ما يتعلق بالحدود في السرقة وفي الخروج على الجماعة المسلمة. ومنها ما يتعلق بالخمر، والميسر والأنصاب والأزلام. ومنها ما يتعلق بالكفارات

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

في قتل الصيد مع الإحرام وفي اليمين. ومنها ما يتعلق بالوصية عند الموت. ومنها ما يتعلق بالبحيرة، والسائبة، والوصيلة والحامي من الأنعام، ومنها ما يتعلق بشريعة القصاص في التوراة مما جعله الله كذلك شريعة للمسلمين.. وهكذا تلتقي الشرائع بالشعائر في سياق السورة بلا حاجز ولا فاصل.» [15]

عند التأمل في السورة نستطيع القول: إنّ السورة تؤكد على أهمية العقود التي تنظم حياة الأفراد والمجتمعات، وتقرّر أن استقرار الحياة واتزانها مرتبطان بالالتزام بالأحكام الشرعية.

ومن أبرز تلك العقود ما ورد في النهي عن شرب الخمر، حيث يشير الوحي القرآني إلى أنَّ الخمر من رجس الشيطان، والابتعاد عنها سبيل للفلاح. كما للخمر من أثر في زعزعة التوازن العقلي والسلوكي للإنسان، مما ينعكس سلبًا على المجتمع بأسره، وبهذا تظهر السورة بمثابة ميثاق إلهي يضبط حياة الإنسان، ويكفل له وضوح الهوية الفردية والجماعية، في مقابل الفوضى والاضطراب الذي يسود عند غياب التشريع الإلهي.

15- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 827.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المبحث الثاني: موضوعات النداء في سورة المائدة وعلاقتها بمحور السورة.

تكرر النداء بـ {يا أيها الذين آمنوا} في سورة المائدة ما لم يتكرر في أيّ سورة من سور القرآن الكريم، حيث جاء في ستة عشر نداء، وهذه النداءات تشكل محاور السورة وموضوعاتها المختلفة، فكلما جاء نداء يأتي بعده محور جديد للسورة فيه تفاصيل الأوامر والنواهي.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَتْ: « فَإِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ »[16]

وعند التأمل في هذه النداءات نجدها قد جاءت في أربعة مجالات رئيسة: أولاها: أحكام تخص المؤمن في بنائه عقائديًّا وإيمانيًا، وثانيها: أحكام تخص المؤمن في عباداته وعلاقته بربه، وثالثها: أحكام تفصيليّه تخص المؤمن في بعض تعاملاته مع الآخرين، ورابعها: بناء المؤمن في تصوراته، وإعداده تربويًا، وسلوكيًّا، وأخلاقيًّا؛ ولذا سيتم تصنيف آيات النداء في سورة المائدة بحسب هذه المجالات ومدلولاتها الموضوعية دون اعتبار ترتيبها في السورة.

المطلب الأول: نداءات بناء المؤمن في عقيدته.

تنوعت النداءات الإيمانية في سورة المائدة، وذلك بحسب المخاطب والمضمون، وتكتسب هذه النداءات أهميتها خاصة عندما تتصل بجوانب العقيدة، لأنها تخاطب أصول الإيمان، وتؤسس للمنهج العقدي الصحيح.

وتتناول هذه النداءات قضايا تتصل بالإيمان والتوحيد وموقف المسلمين من أهل الكتاب، وتُبرز هذه النداءات – على وجه الخصوص- الجوانب العقدية في الخطاب القرآني، فتدعوا إلى الثبات على الدين، والتحذير من موالاة غير المؤمنين، وتأكيد شمولية الإسلام وصحته

16- رواه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، حنبل، مسند السيدة عائشة، رقم: 25547، ج42، ص353. قال شعيب الأرناؤوط: ر جاله رجال الصحيح، ورواه النسائي، السنن الكبرى، رقم: 11073، ج10، ص 79.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

مقابل التحريف والتبديل الذي وقع في ديانات سابقة.
وانطلاقًا من أهمية موضوع النداءات في سورة المائدة يأتي هذا المطلب ليتناول بالتحليل والدراسة النداءات المتعلقة بالعقيدة، وبناء الهوية الإسلامية، وتحليل السياق العام للسورة، والروابط الموضوعية التي تجمع بين نداءات السورة.

النداء الأول:

قال تعالى:﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]
يقول الطبري: «والصوابُ مِن القول في ذلك عندَنا أن يُقالَ: إن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه نهَى المؤمنين جميعًا أن يَتَّخِذوا اليهودَ والنصارَى أنصارًا وخُلفاءَ على أهلِ الإيمانِ باللَّه ورسولِه، وأخْبَر أنه مَن اتَّخَذَهم نَصيرًا وحَليفًا ووليًّا مِن دونِ اللَّهِ ورسولِه والمؤمنين فإنه منهم في التَّحَزُّبِ على اللَّهِ وعلى رسولِه والمؤمنين، وأن اللَّهَ ورسولَه منه بَرِيئان»[17] كما أنَّ كل وفاق ووئام وصلة لهؤلاء القوم هو موالاة لهم، فهم ليسوا أهلاً لهذه الولاية، أخلاقهم وإضمارهم الكيد للمسلمين، فالولاية هي ولاية مودة ونصرة.[18]
يقول سيد قطب: «إن هذا القرآن يربي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله، ولا يتبع قيادة رسول الله ولا ينضم إلى الجماعة التي تمثل حزب الله، وإشعاره أنه موضع اختيار الله، ليكون ستاراً لقدرته، وأداة لتحقيق قدره في حياة البشر وفي وقائع التاريخ، وأن هذا الاختيار- بكل تكاليفه- فضل من الله يؤتيه من يشاء، وأنَّ موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله، والنكول عن هذا الاختيار

17- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج10، ص398.
18- ينظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور ج6، ص، 229.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

العظيم، والتخلي عن هذا التفضيل الجميل.»[19]

إنّ الربط بين الولاء والبراء والعهود والمواثيق يبين التوازن الذي تؤكده الشريعة الإسلامية بين الانتماء العقدي والالتزام الأخلاقي، إنَّ الولاء لغير المسلمين على أساس ديني أو عقدي أو بمعنى آخر التبعية الدينية وكذلك التأييد لعقيدة من يخالف المسلمين لهو نقض لميثاق العبودية مع الله تعالى.

وكذلك الولاء السياسي والتبعية المهينة، حين تخضع الأمة إرادتها السياسية أو مواقفها الخارجية، فإنَّ ذلك فيه إضعاف لمرجعية المسلم، وفيه مخالفة للعقيدة التي تفرض التبعية لله وحدة، وقد يصل ذلك إلى نقض ميثاق العمل مع الله تعالى.

كيف إذا ترتب على هذه التبعية، وعلى هذه الموالاة نصرة الظالمين، أو السكوت عن العدوان على المسلمين؟ فإنَّ ذلك خيانة للأمة وإلى العهد مع الله، الذي أمر بالعدل ونصرة المظلوم، كما أنَّ الولاء السياسي المهين ينشئ شعورًا بالنقص والانهزام، وهو ما يفضي إلى الاستسلام الثقافي والفكري، وهذا من مظاهر البراء من الإسلام دون تصريح، إنَّ الولاء والتبعية المهينة لليهود والنصارى تجعل العلاقة غير متوازنة قائمة على الإذلال لا على الاتفاق المحرم وهذا يضعف مصداقية المسلمين أمام الآخرين، ويفسد صورته كممثل لرسالة الإسلام.

النداء الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾ [المائدة: ٥٤]

هذه الآية متصلة بالآيات التي سبقتها، فلما نهى الله سبحانه وتعالى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى، وبين أنَّ موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين بقوله: {فإنه منهم} وقوله: {حبطت أعمالهم}

19- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 908

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق.

تُكمل هذه الآية ما قبلها من التحذير من موالاة اليهود والنصارى، مؤكدة أنَّ من يسارع في موالاتهم قد يرتد عن دين الله. وتُشير الآية إلى وقوع الردة من بعض من دخلوا الإسلام، كما حصل بعد وفاة النبي ﷺ، حيث ارتدت بعض القبائل، فواجههم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقضى على فتنتهم، وأعاد للإسلام هيبته.[20]

إذًا هذه الآية تمثل نقطة تحول محورية في خطاب السورة، حيث تؤكد أنَّ الدين ليس رهنًا بأشخاص وأنَّ الارتداد لا يضر الدين شيئًا، فالله قادر على أن يأتي بأقوام آخرين يحملون راية الإيمان بصدق وولاء، يثبتون حين يضعف غيرهم.

إنَّ الارتداد عن دين الله خيانة ونكوص عن عهد الإيمان، وإنَّ دين الله فوق كل شيء، وفق كل اعتبار، فمن يتخلى عن دين الله ويوالي أعداءه فالله لا يحتاج إليه، بل يستبدله بقوم يحبهم ويحبونه، صادقين في ولائهم، مخلصين في جهادهم، لا يبالون بلوم أحد في سبيل الله.

إنّه الصفاء العقدي، والصلابة في الولاء، والثبات على المبدأ، والالتزام بالعهد، وما ذلك إلا طريق التمكين وطريق العزة.

النداء الثالث:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾ [المائدة: ٥٧-٥٨].

يعد هذا النداء وما سبقه من ندائيين سابقين بمثابة تنبيهات تؤسس لبيان حكم ضروري، فجاء التنبيه الأول مصرِّحًا ببيان عدم موالاة اليهود والنصارى؛ لأن الموالاة تُخرج المؤمن عن طريق الحق.

أمَّا التنبيه الثاني فيظهر أنَّ موالاة الكافرين تعد شكلاً من أشكال الردّة عن الإسلام، لإنها تعني الانحياز إلى الباطل، وفيه تمهيد لبيان طريق الحق المتمثل في أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه، وتتناول

20-ينظر، الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، ط1، ج4، ص196.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

هذه التنبيهات آية الولاء بوصفها الحكم الأساسي المقصود.
ويأتي النداء الأخير ليؤكد التنبيه الأول ويعزّزه، فنلاحظ أن هذه التنبيهات الثلاثة تشكل سلسلة متكاملة، كل واحد منها يوضح ما قبله ويمهد لما بعده.
ويتساءل الطاهر بن عاشور لماذا لا ينبغي للمؤمن أن يوالي من يتخذ الدين هزوًا ولعبًا، حيث يقول: «والدين هو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة، فهو عنوان عقل المتدين ورائد آماله وباعث أعماله، فالذي يتخذ دين امرئ هزؤًا فقد اتخذ ذلك المتديّن هزؤًا، ورمقه بعين الاحتقار، إذ عدّ أعظم شيء عنده سخرية، فما دون ذلك أولى، والذي يرمق بهذا الاعتبار ليس جديرًا بالموالاة، لأنَّ شرط الموالاة التماثل في التفكير، ولأنَّ الاستهزاء والاستخفاف احتقار، والمودة تستدعي تعظيم الودود».[21]
إنها حالة تستفز مشاعر كل مؤمن غيور، لا يرضى لنفسه كرامة تُصان إذا أُهين دينه، أو مُسّت عبادته، أو نيل من صلاته، أو جُعل وقوفه بين يدي ربه موضع سخرية ولعب. فكيف يُتصور قيام ولاء بين المؤمنين وبين من اقترفوا هذه الجريمة، وهم لا يُقدمون عليها إلا لخلل في عقولهم؟ إذ لا يستهزئ بدين الله وعبادِه المخلصين إنسان سليم الفطرة والعقل، فالعقل حين يستقيم ويبصر، يرى في كل ما حوله دلائل تدعو للإيمان بالله وتوقيره.[22]
فهؤلاء- اليهود والنصارى- لا يحترمون دينهم فكيف لمسلم أن يتخذهم أولياء؟! إن اتخاذهم أولياء هو ثلمة في الدين، بل هو نكوص عن العقيدة السليمة التي تجعل موالاة المسلمين هي للمسلمين فقط، واتخاذ هؤلاء يتنافى مع كمال الإيمان.
إنّ الولاء والبراء من أهم أسس بناء المجتمع المسلم المتماسك، القائم على الروابط المتينة، والمبنيّة على الإيمان، لا على روابط المصالح أو المجاملة على حساب الدين.
فمن لا يحترم دينك ويسخر من شعائره، فقد خان ميثاق العهد

21- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج6، ص 241.
22- ينظر، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 922.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والعيش المشترك، فالولاء عقد وميثاق قلبي وسياسي واجتماعي.
إن اليهود والنصارى خانوا عهدهم مع ربهم يوم أن ابتعدوا عن دينهم فحرفوه، واشتروا به ثمنًا قليلًا.
كما أن هذه الآية تظهر خيانة أهل الكتاب والكفار للعهد والميثاق، وذلك باحتقارهم الدين والسخرية من الصلاة، وإن اتخاذهم أولياء يعدّ نقضًا للميثاق الإيماني الذي يعطي الولاء لمن يوقّر شعائر الله و يعظمها .

المطلب الثاني: النداءات التي تخص أحكام المسلم في عباداته.

تكررت النداءات في سورة المائدة في سياقات متعددة، منها ما يتعلق بالعبادات، كأحكام الطهارة والصلاة والصيد في الإحرام، مما يعكس عناية الإسلام بتنظيم العلاقة بين العبد وربه، وتأتي هذه النداءات كرسالة سماوية مباشرة تُعنى بترسيخ العبادات التي هي جوهر العبودية لله، وذلك في أدق تفاصيل العبادة.
وتمثل هذه النداءات دعوة صريحة للتقوى والطاعة والانقياد لما شرعه الله تعالى، مع تأكيد على أن تلك التشريعات ليست مجرد أوامر، بل هي سبيل لتحقيق الطهارة الظاهرة والباطنة، والوصول إلى مرضاة الله تعالى، وهي نداءات حانية من حكيم خبير، تربط الفرد بالجماعة المسلمة، والظاهر بالباطن، لتشكل منهجًا متكاملاً يصلح القلوب والأحوال.
ولا تنفصل هذه العبادات عن سياق السورة الكبير الذي يعني بالعهود والمواثيق، فكأنما العبادة هنا ليست طقوسًا فرديّة، بل هي جزء من نسيج أخلاقي يحافظ على تماسك الأمة.
وقد نزلت هذه الآيات في أواخر عهد النبوة إعلانًا عن الانتهاء من بناء صرح التشريع كما جاء في قوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.. ﴾ [المائدة: ٣]. فجاءت تشريعات شاملة توازن بين حقوق الله تعالى وحقوق الإنسان.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

النداء الأول:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)﴾ [المائدة:٦].

« لما كان من جملة الإيفاء بالعقود التي افتتحت به هذه السورة إقامة الصلاة، وكانت مشروطة بالطهارة، بيّن سبحانه في هذه الآية كيفيّتها.»[23]

بين العبد وربّه عهدان: عهد الربوبية والإحسان من جهة الله، وعهد العبودية والطاعة من جهة العبد، وبعد وفاء الله بعهده وبيانه ما يحلّ ويحرم من مُتَع الحياة، طالب العباد بالوفاء بعهدهم عبر الطاعة، وأبرز صورها الصلاة، التي لا تصح إلا بالطهارة، لذا افتتحت آيات الطهارة بفرائض الوضوء، واختتمت بالتأكيد على أن بيان الأحكام الشرعية في العبادات والعادات مقرون بتذكير الإنسان بعهد السمع والطاعة، الذي التزمه بقبول الدين الحق والعمل به بإخلاص.[24]

إنَّ ذكر الصلاة والطهارة إلى جانب ذكر الطعام الحلال والزواج وأحكام الصيد والمعاملات ليس عشوائيًا، بل هو جزء من منهج رباني متكامل، فالطهارة والصلاة ليستا عبادات روحية فقط، بل هما من ألوان الطيبات التي تكتمل بها إنسانية الإنسان، إلى جانب طيبات الدنيا من طعام وزواج، من الألوان التي يجد فيها قلب المؤمن ما لا يجده في سائر المتاع. إنَّ كلَّ الأحكام الشرعية، من عبادات ومعاملات وتعاملات مع الآخرين، كلها عقود يجب الوفاء بها، وكلها تعبِّر عن العبودية ولا يصح الإخلال بأيّ منها.[25]

23- محاسن التأويل، القاسمي، ج4، ص60.

24- ينظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج10، ص296

25- ينظر، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص849.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والآية تعرض الطهارة باعتبارها أمرًا تعبديًا، وشرطًا للقيام بعبادة عظيمة هي الصلاة، مما يجعلها جزءًا من الوفاء بعهد العبودية مع الله تعالى، تمامًا كما هو الوفاء بسائر العقود التي بدأت بها السورة الكريمة.

وتأتي أحكام الطهارة لتؤكد أن الشريعة تشمل الجوانب الفرديّة والروحيّة، بالإضافة إلى الجوانب الاجتماعية والسياسية، فالدين وحدة واحدة لا يتجزأ.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: {مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجعَلَ عَلَيكُم مِّن حَرَجٍ } وهذا منسجم مع روح السورة التي تؤكد على أنَّ التشريع الإسلامي رحمة وعدل، وهو مبني على التيسير، مما يظهر كمال النعمة وتمام المنة ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.. ﴾.

فالآية تجسيد عمليّ لمحور السورة الرئيس، فهي تشريع تعبدي يعكس مدى التزام المسلم بالعقد الإيماني بينه وبين ربه.

النداء الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)﴾ [المائدة:٨٧].

يُحذِّر الله ﷻ المؤمنين من تحريم ما أحلَّه من الطيبات، وهي ما تشتهيه الأنفس وتميل إليه القلوب، كفعل الرهبان الذين امتنعوا عن النساء والمطاعم والمشارب الطيبة، واعتزلوا الحياة، ويبيّن أنَّ تجاوز حدود الله في التحليل والتحريم يُعدّ اعتداءً لا يحبه الله تعالى.[26]

وقد ورد عند الرازي لدى تفسيره هذه الآية ما ذكره القفال أن الله ﷻ: «قَالَ فِي أَوَّلِ السورة أَوْفُوا بِالْعُقُودِ فَبَيَّنَ أَنَّهُ كَمَا لاَ يَجُوزُ اسْتِحْلاَلُ الْمُحَرَّمِ كَذَلِكَ لاَ يَجُوزُ تَحْرِيمُ الْمُحَلَّلِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُحَرِّمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّه تَعَالَى، وَهِيَ الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامُ، وَقَدْ حكى اللَّه تَعَالَى ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي سُورَةِ الأَنْعَامِ، وَكَانُوا يُحَلِّلُونَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَغَيْرَهُمَا، فَأَمَرَ اللَّه تَعَالَى أَنْ لاَ يُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ

26- جامع البيان، الطبري، ج10، ص513.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

اللَّـه ولا يحللوا مَا أَحَلَّ اللَّـه، وَلاَ يُحَلِّلُوا مَا حَرَّمَهُ اللَّه تعالى حتى يدخلوا تحت قوله:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. [المائدة: ١] [27]

وهل لأحد أن يحرّم ما أحل الله من الطيبات؟ وهل لأحد أن يمتنع عن الأكل مما رزق الله حلالاً طيبًا؟ ليس لأحد ذلك، بل الأمر كله لله، والله تعالى هو الذي يملك ذلك.

إنَّ التشريع حق لله سبحانه وتعالى، والله تعالى هو الذي ينظّم حياة البشر، وهو صاحب الحق في أن يحلّ لهم ما يشاء، ويحرّم عليهم ما يشاء، إنَّ التشريع قضية عامة تقرر مبدأ عامًّا يتعلق بحق الألوهية في رقاب العباد، ويتعلق بمقتضى الإيمان بالله في سلوك المؤمنين في هذه القضية. [28]

إذا ما نظرنا إلى سورة المائدة، وجدناها تتحدث في موضوعاتها وفي محورها العام عن إتمام التشريع وبناء المجتمع الإسلامي على أساس الطاعة لله ورسوله والوفاء بالعهود والالتزام بأحكام الشريعة، إلى جانب التركيز على ضبط السلوك الفردي والاجتماعي للمؤمنين.

والنداء الذي بين أيدينا هو تنبيه للمؤمنين إلى عدم التشدد في الدين، مثل تحريم ما أحله الله تعالى على أنفسهم من باب الزهد أو التقوى، وهو ما قد يفضي إلى الغلو، وفي ذلك ضبط للسلوك الشخصي والديني لدى المسلم.

وهذه الآية تبيّن لنا أنَّ الاعتداء بتحريم الحلال أو تجاوز الحدود، هو نقض للعهد مع الله تعالى، لأنَّ الله شرع أحكامًا واضحة، والالتزام بها نوع من الوفاء بالعقد الإلهي.

وكذلك تحريم الطيبات، فعندما يحرم الناس ما أحل الله فهم يخالفون بذلك عهد الله الذي أباح لهم الطيبات، وهذا يشبه في حدٍ كبير نقض العهود مع الآخرين.

إنَّ الاعتداء يفسد المواثيق الاجتماعية، فقد جاءت سورة المائدة تربط بين الاعتداء والفساد في الأرض، فقال تعالى: {وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}،

27- مفاتيح الغيب، الرازي، ج12، ص417.

28- ينظر، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص969.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والاعتداء يشمل:

- الاعتداء على الحقوف بنقض العهود.
- الاعتداء على التشريع بتحريم الحلال.

وكلاهما يضعف الثقة بين الناس، ويهدّد الاستقرار الاجتماعي الذي تؤسسه المواثيق.

إنَّ الآية الكريمة تعزّز فكرة أنَّ الاستقامة على شرع الله في (العبادات والمعاملات) هي جوهر الوفاء بالعهود، والاعتداء عليها يفقد الأمة مصداقيتها الدينية والأخلاقية.

النداء الثالث:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

ورد عن الإمام الرازي أنَّ هذا النداء متمّم للنداء الذي سبقه؛ لأنَّ هذه الأمور يستطيبها الإنسان، فلذلك بيّن أنّها غير مشمولة بالطيبات المحللة، بل هي من المحرمات.[29]

و»الخطاب للمؤمنين جميعًا، لأنَّ هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبّس بها في الجاهلية وغلبت على النفوس، فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين.»[30]

وعن علة التحريم، قال المهايمي: «لأنَّ الخمر تضيع العقل، وما دون السكر داع إلى ما يستكمله، فأقيم مقامه في الشرع الكامل، والميسر يضيع المال، والأنصاب تضيع عزة الإنسان بتذلله لما هو أدنى منه، والأزلام تضيع العلم للجهل بالثمن والمثمن.»[31]

إنَّ غيبوبة السكر تُناقض يقظة المسلم الدائمة التي يُوجبها الإسلام

29- ينظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج2، ص423.

30- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج2، ص232.

31- تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، المهايمي، ج1، ص398.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

لمراقبة الله، وتحمل المسؤوليات الفردية والجماعية، فالإسلام يُلزم المؤمن بالوعي والانضباط، حتى في متاعه، رافضًا كل ما يُغيب العقل ويُعطل الإرادة، ومن ثم فالسكر يُعدّ انحرافًا عن جوهر التكاليف الإسلامية التي تقوم على اليقظة والسيطرة لا الاستسلام للشهوة.[32]

وهذه الآية بما تحويه من نداء يمثل قمة تطهير الأمة من رجس الجاهلية، ويخاطب الأمة المؤمنة في مرحلة النضج والاكتمال، ويبين أنَّ من مقتضيات الوفاء بالعهد الإيمانيّ:

- الانفصال التام عن الجاهلية في عاداتها وشعائرها.
- بناء شخصية جماعية نقية من عوامل الفرقة والعداوة.
- الحفاظ على العلاقة مع الله تعالى بالصلاة والذكر كأسمى صور الوفاء.

وإنَّ هذه المنهيات في هذه الآية والإتيان بها من خمر وميسر وأنصاب وأزلام هي اعتداء على مقاصد العهد الإلهي، العهد الذي يشمل :

الالتزام بشريعة تحفظ العقل والمال والروح والعرض والدين، وهذا من شأنه فقدان السيطرة السلوكية، وفساد العلاقات الاجتماعية، وضعف الالتزام بالشريعة.

ولا شك أنّ الخمر والميسر(القمار) يعتبران نقضًا للعهد الإيماني، لأنّها تضعف العقل الذي هو أمانة وعهد من الله للإنسان، ليحقق العبادة والمسؤولية عن عمارة الأرض.

ولو دققنا النظر لوجدنا أنَّ السورة تبدأ بالحديث عن الطهارة الحسية والمعنوية (الوضوء والطعام)، والخمر والميسر رجس، وهي نجاسة روحية تناقض طهارة العهد الذي يجب أن يكون نقيًا من الخبث.

فالخمر والميسر ليسا مجرد معصية فردية، بل هما تدمير لمنظومة العهود التي تقوم عليها سورة المائدة.

32- ينظر، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2 ص977

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

النداء الرابع:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾. [المائدة:٩٥]

هذا النداء يُعدّ مكمِّلاً للنداء الوارد في الآية السابقة، التي تناولت الابتلاء بالصيد، حيث أُتيح للمؤمنين التخيير في بعض الطيبات، وهو أمر لا حرج فيه في ذاته، غير أنَّ النداء السابق قد أُدرج ضمن تقسيمات هذه الدراسة في المبحث التالي، الذي يُعنى بالنداءات الموجَّهة لبناء الإنسان وتكوينه على المستويات التربوية والسلوكية والأخلاقية، أمَّا النداءات الواردة في هذا الموضع، فإنها تنتمي إلى البعد التشريعي، إذ تتناول جانبًا من الشعائر وأثرها في صياغة الفرد والمجتمع.

فكان لزامًا التنبيه على اختبار الله تعالى لعباده في هذه الطيبات وبيان أنَّ الصيد محلل في أوقات لكنه في بعض الأوقات يدخل في دائرة المنع، لذلك جاءت هذه الآية لبيان متى يكون الصيد محرمًا، وما ينبغي على المُحرِم إذا وقع الصيد أن يفعل من كفارات.

« هذَا النِّدَاءُ تَوْطِئَةٌ لِبَيَانِ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُحْرِمِ الْمُعْتَدِي فِي الصَّيْدِ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَفَّارَةِ فِي الدُّنْيَا، سَبَقَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ تَحْرِيمُ الصَّيْدِ عَلَى مَنْ كَانَ مُحْرِمًا بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ وَمَنْ كَانَ فِي أَرْضِ الْحَرَمِ، وَقَدْ أَعَادَهُ هُنَا لِيُرَتِّبَ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ.»[33]

إذن نهيٌ صريح عن قتل الصيد في حالة الإحرام، ثم شرَع بعد ذلك الكفارة لمن يفعل ذلك، وهو تقريب قربان عند الكعبة من الأنعام معادل لما قتل أو إطعام بعض المساكين أو صيام أيام تعادل ذلك ليشعر بهذا قاتل الصيد أنّه اقترف محظورًا وكفّر عنه.

وحرمة الصيد أثناء الإحرام من الأحكام التفصيلية التي تؤكد على ضرورة الالتزام بشرع الله وأوامره في أدق التفاصيل، وهذا من شأنه أن يقيم مجتمعًا مؤمنًا على أسس الطاعة المنضبطة والامتثال

33- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، ج7، ص86.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الكامل للتشريع.

فالمؤمن لا يملك حرية الانفلات من أحكام الله في أي ظرف مهما كان هذا الظرف، ومهما كانت طبيعته، فأي تصرف هو محسوب وله أثر روحي وتشريعي.

فالإيمان ليس مشاعر فقط، بل هو التزام عملي دقيق، حتى مع الغريزة الفطرية كالصيد.

فهذه الآية درس في بناء الإنسان الرباني الذي يراقب ربه في خلواته، ويستسلم لأمره دون تردد، ويعيش في ظلال عفوه وعدله في آنٍ واحدٍ.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المطلب الثالث: النداءات التي تخص أحكام المسلم في معاملاته.

تمثل سورة المائدة إحدى السور القرآنية التي عنيت بالتشريع بشكل مفصّل، حيث تناولت جملة من الأحكام المنظمة لشؤون الفرد والمجتمع، لا سيما ما يتعلق منها بالمعاملات في أبعادها المختلفة: القانونية، والاقتصادية، والاجتماعية، وقد تميزت هذه السورة بكثرة النداءات الإلهية الموجَّهة إلى جماعة المؤمنين، حيث تكررت الصيغة الافتتاحية: {يا أيها الذين آمنوا} في مواضع متعددة، على نحو لافت، حتى عُدَّت سورة المائدة أكثر سور القرآن ورودًا لهذه الصيغة، مما يدل على مركزيّة الموضوعات التي تناولتها، وأهمية الامتثال لما ورد فيها من توجيهات وأوامر ونواهٍ.

وتُعدّ النداءات الإلهية الواردة في هذه السورة تجسيدًا للصلة بين الإيمان والسلوك، إذ يُقدَّم الخطاب للمؤمنين باعتبار أنّ الالتزام بأحكام المعاملات إنَّما هو ثمرة من ثمار الإيمان الصادق، وتجسيد عملي لمقتضيات العقيدة الإسلامية.

وقد شملت هذه النداءات عددًا من الأحكام التفصيلية التي تنظّم العلاقات التعاقدية، وأسس التعامل مع الآخرين، سواء داخل الجماعة المسلمة أو خارجها، مع التأكيد على قيم العدل، والوفاء، والأمانة، ومراعاة حدود الله في جميع التصرفات والمعاملات.

النداء الأول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾. [المائدة: 1]

أول ما يطالعنا من نداء في سورة المائدة هو هذا النداء، وهو عقد الطيبات من الأكل، وأول ضروريات الحياة، فهذه العقود والمواثيق هي حفاظًا على حياتنا.

و« تَصْدِيرُ السُّورَةِ بِالْأَمْرِ بِالْإِيفَاءِ بِالْعُقُودِ مُؤْذِنٌ بِأَنْ سَتَرِدُ بَعْدَهُ أَحْكَامٌ وَعُقُودٌ كَانَتْ عُقِدَتْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً، ذَكَّرَهُمْ بِهَا لِأَنَّ عَلَيْهِمُ الْإِيفَاءَ بِمَا عَاقَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ.»[34]

34- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج6، ص74.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

والعقود هي الضوابط التي يقيمها الله تعالى ويحددها في حياة الناس لمصلحتهم، والأمر في النداء كان بالوفاء بها، والوفاء له مراتب: أدناها أن يهتم الإنسان بتقديره الذاتي للمصلحة أمام الله تعالى.

وقد حمل هذا النداء الأول في هذه السورة وجسّد لبَّ الرسالة التي تحملها السورة، حيث يقدم مبدأ الوفاء بالعهود كقاعدة تبني عليها جميع التشريعات والمواعظ في السورة، وهذا يؤكد أنَّ الإسلام لا يقيم مجتمعًا فاضلًا إلا باحترام المواثيق سواء كانت روحية أم دنيوية، مما يجعل السورة دستورًا أخلاقيًا للمسلمين في تعاملهم مع الله تعالى والناس.

«وافتتاح السورة على هذا النحو، والمضي فيها على هذا النهج يعطي كلمة «العقود» معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ويكشف عن أنَّ المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله.»[35]

إنّ الأمر بالإيفاء بالعقود يدل على وجوبه، فيثبت أن وفاء المتعاقد بما التزم به حق لازم عليه، ولهذا يُقضى به عند التنازع. ذلك أن العقود شُرعت لتحقيق مصالح الناس وسد حاجاتهم، فهي من قبيل «المناسب الحاجي»، ومن ثم فإن الوفاء بها يدخل في دائرة الحاجيات، إذ إن ما يُكمّل كل نوع من أنواع المناسب — سواء كان ضرورياً أو حاجياً أو تحسينياً — يُلحق به في الحكم، فيأخذ صفته واعتباره.[36]

إذًا من خلال ما سبق ندرك أنّه لا عجب أن يفتتح الله تعالى هذه السورة الكريمة -سورة العهود والمواثيق- بالنداء على المؤمنين أن يوفوا بعهودهم الشاملة المطلقة، فالعلاقة واضحة بين ما جاء في ثنايا السورة وبين ندائها الأول الذي يطلب احترام المواثيق والإيفاء بها، فبتلك الضوابط تستقيم الحياة، وتتعمّق علاقة المخلوق بالخالق.

35- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 835

36- ينظر، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج6، ص 75

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

النداء الثاني:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾. [المائدة:٨]

توجّه الآية الكريمة نداءً إلهيًا إلى المؤمنين، وتأمرهم بالثبات على مبادئ العدل، قوّامين له لا يحيدون عنه مهما كانت الظروف دون محاباة أو تحامل، فما أعظمها من وصية تربط بين الإيمان والعدل، وتجعل القيام بالقسط شهادة لله لا للأهواء.

ويأتي هذا التوجيه الإلهي الواضح {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا}، أي لا يدفعكم بغضكم لقوم، أو اختلافكم معهم إلى أن تظلموهم، لأنَّ العدل ليس اختيارًا ولا مصلحة، بل هو واجب إيمانيّ، وخلق ربانيّ، يعلو فوق الأهواء والمشاعر.

فالمؤمن مطالب أن يكون قوّامًا، مبالغًا في القيام بأمر الله، وما دام المؤمن قوّامًا «فلن تخلو لحظة من قيامنا أن تكون لله؛ للّه توجهًا لا نفعًا؛ لأن أيّة حركة من أي عبد لا تفيد الله في شيء؛ فالله خلق خلقه بمجموع صفات الكمال فيه، ولم ينشئ خلقه له صفة جمال أو كمال جديدة، وعندما يؤدي الإنسان أيّ عمل لله فهو يؤديه طاعة وتقربًا لله، وإذا أراد الله من المؤمنين أن يكونوا قوامين لله، عندئذ تكون كل حركات المجتمع الإيماني حركات ربانيّة متساندة متصاعدة، وإذا كانت حركات المجموع الإيماني متساندة فسوف تكون النتيجة لهذه الحركة سعادة البشرية؛ فالإنسان إذا ما كان قوامًا فهو قوّام لنفسه وللآخرين».[37]

«ومن الميثاق الذي واثق الله به الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل، العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن، ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى في حال من الأحوال، العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات، والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور».[38]

37- خواطر الشعراوي، الشعراوي، ج5، ص2891.

38- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 852.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

فالعدل جزء جوهري من الوفاء، الوفاء بالعقود لا يقتصر فقط على الالتزام بالمعاهدات الرسمية، بل يشمل العدل في التعامل، حتى مع الأعداء، فالله يأمر المؤمنين بالعدل في الشهادة والمعاملة، وعدم السماح للبغضاء بأن تفسد ميزان العدل.

وفي هذا الشأن يقول الزمخشري: «وفيه تنبيه عظيم على أنَّ وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء اللّه إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه؟». [39]

كما أن الشهادة والعدل هي مواثيق أخلاقية، فالشهادة بالحق وعدم الميل بسبب الكراهية تمثل التزامًا أخلاقيًا وشرعيًا، أي: ميثاقًا يجب الوفاء به، لأنَّه يعكس السلوك الإيماني الصحيح.

وتتجلى في هذا النداء علاقة وثيقة تعكس الإحساس العميق بالمسؤولية الذاتية لدى المؤمن الملتزم بميثاقه، والذي يسعى لخدمة أمته وتحقيق النفع لها، وإقامة الشهادة لله تعالى، وتبرز هذه العلاقة بوضوح في اقترانها بمبدأ العدل، حتى في ظل مشاعر الكراهية أو البغضاء التي قد تعتري النفس، فهذا النداء يمثل تجسيدًا للمنهج التربوي الذي يُرسيه هذا الدين في نفوس أتباعه، من خلال ترسيخ مبدأ العدل المطلق، بما يتجاوز الأهواء والاعتبارات الشخصية، ويُطبَّق حتى في التعامل مع من تربطنا بهم مشاعر سلبية أو خصومة.

النداء الثالث:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾. [المائدة: ١٠٦].

يدور النداء السابق حول أحكام التوثيق للوصية، وما ذلك إلا لبيان أهمية الوصية وجدارتها بالتوثيق، إحقاقًا للحق، لا سيما وأن الموصِي

39- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص613.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

قد مات، والموصَى له لا علم له بما عقد الوصي له، ولا بما ترك، فكانت معرضة للضياع كلها أو بعضها.[40]

وبالوصية تحفظ حقوق الورثة، وتحقق العدالة من بعده، فقد حفظ الإسلام مسيرة الإنسان في حياته ومماته؛ كي تحفظ الحقوق من بعده.

وفي هذه الآية إخبار للأمر بإشهاد اثنين إذا حضر الإنسانَ مقدماتُ الموت وعلاماته، فينبغي له أن يكتب وصية يشهد عليها اثنين ذوي عدل ممن يُعتدّ بشهادتهما، أو آخرين من غير المسلمين في حال السفر.

ففي تلك اللحظات المصيرية، تكون الوصية مصحوبة بشهادة الشهود، وهذا يؤكد الحكمة الإلهية في حفظ الحقوق، وتجنب النزاعات بين الورثة أو المستحقين بعد الوفاة.

ففي وقت يغلب على الإنسان الضعف الإنساني، والاضطراب النفسي وقت الاحتضار، يأتي الحثّ على أن يكون الشهيدان من ذوي العدالة والاستقامة، لضمان مصداقية الوصية ونزاهة الإجراءات، حفاظًا على حقوق الغير، وتجنبًا للتلاعب أو الإنكار، وحفظًا لحقوق الورثة والغرماء، وغيرهم ممن قد يُذكرون في الوصية.

فالوصيّة عهد يجب الوفاء به خصوصًا عند قرب الموت، والشهادة على الوصية شكل من أشكال حفظ الحقوق والعهود، وفيها أيضًا توجيه بأن تكون الشهادة من ذوي عدل، وهو جزء من تحقيق العدل والوفاء؛ فلا بد من إشهاد شخصين عدلين عند كتابة الوصية، والتي تعدّ عهدًا بين الموصي وأهله المستفيدين، لضمان تنفيذ رغباته بعد وفاته، بشرعة هذه العملية.

ومن هنا نرى مدى إبراز القرآن قدسية الالتزامات الشخصية، متناغمًا مع دعوة السورة العامة للوفاء بالعهود وبكل أشكالها.

وتكرر سورة المائدة التأكيد على الصدق والعدل في تنفيذ الالتزامات، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ

40- ينظر، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج7، ص80.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾. [المائدة: ١]
وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [المائدة: ٨]
وبهذا يضمن الشفافية، ويمنع النزاعات، ويحفظ حقوق جميع الأطراف، وهذا يتوافق مع تأكيد السورة على النزاهة في العقود الاجتماعية الأوسع كالمعاهدات.
وقد اشترطت الآية أنَّ يكون الشهود من المجتمع (منكم)، وفي ذلك ربط المسؤولية بالمجتمع، حيث تربط بين الوفاء الفردي للعهود والمسؤولية الجماعيّة، وفيه تأكيد على أن العدل الاجتماعي قائم على التزام الأفراد بوعودهم.

المطلب الرابع: بناء الإنسان سلوكيًّا وتربويًّا.

تتجلى في سورة المائدة ملامح المنهج القرآني في بناء الإنسان المؤمن، من خلال سلسلة من النداءات الربانية، التي تكررت في هذه السورة أكثر من أيّ موضع آخر في القرآن الكريم، ولم تأتِ هذه النداءات لمجرد التنبيه فحسب، بل كانت وسيلة تربوية هادفة لصياغة شخصية المؤمن، وتثبيت أقدامه على طريق الاستقامة، في زمن كثرت فيه الفتن، وتعددت فيه المؤثرات الدينية، والاجتماعية، والسياسية.
إنَّ المتأمل في آيات النداء في سورة المائدة يرى أنها تحمل مشروعًا قرآنيًا متكاملاً؛ لإعداد الإنسان المسلم تربويًّا وأخلاقيًّا وسلوكيًّا، فهي تغرس في قلبه التقوى والورع، وتربيه على العدل والإنصاف، وتأمره بالوفاء بالعقود والعهود.
كما تؤسس هذه النداءات لبناء علاقة راشدة بين المسلم وربه، وبين المسلم والمجتمع، قائمة على الطاعة والالتزام والمسؤولية الأخلاقية.
وليس عبثًا أن تكون هذه السورة هي آخر ما نزل من القرآن الكريم في الترتيب الزمنيّ، فنداءاتها جاءت بمثابة الوصايا الختامية للمؤمن،

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

تحمل خلاصات التوجيهات التربوية التي تبني أمة قوية في أخلاقها، صلبة في مواقفها، متزنة في سلوكها.

من هنا يهدف هذا المطلب إلى تسليط الضوء على آيات النداء التربوي والأخلاقي في هذه السورة، من حيث مضامينها وأسلوبها، وأثرها في بناء الإنسان المسلم، واستكشاف ما تحمله من قيم ربانية خالدة قادرة على صياغة الوعي، وتزكية النفوس في كل زمان ومكان.

النداء الأول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

جاء هذا النداء إظهارًا لنعمة الله ﷻ على عباده المؤمنين ودفعه الأذى عنهم، وحماية لهم من أعدائهم في سيرهم في الدعوة لإظهار الحق.

تُعدُّ الآية الكريمة تذكيرًا للمؤمنين بنعمة جليلة من نعم الله تعالى، تمثّلت في إنقاذهم من مكر أعدائهم وسعيهم إلى إهلاكهم، وذلك بعد أن سبقتها إشارات إلى نِعَمٍ أخرى، كإكمال الدين، وهدايتهم إلى الإسلام، وسائر ألوان الفضل والإحسان الإلهي. ويُفهم من تكرار هذا التذكير ما فيه من دعوة صريحة إلى لزوم طاعة الله تعالى، والمداومة على شكره، استحضارًا لنعمه، ووفاءً بحقها.

إنه «المنهج التربوي الفريد، وهي إماتة الغيظ والشنآن لهؤلاء القوم في صدور المسلمين، كي يفيئوا إلى الهدوء والطمأنينة وهم يرون أن الله هو راعيهم وكالئهم، وفي ظل الهدوء والطمأنينة يصبح ضبط النفس، وسماحة القلب، وإقامة العدل ميسورة ويستحيي المسلمون أن لا يفوا بميثاقهم مع الله وهو يرعاهم ويكلؤهم، ويكف الأيدي المبسوطة إليهم.»[41]

وهذه الآية تأتي في سياق التذكير بنعمة الله وحفظه للمؤمنين من

41- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص854.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

بطش الأعداء، وفي ذلك تعزيز الوفاء بعهد الله ﷻ؛ لأن تذكير نعمه يحفز العبد على الالتزام بعهده مع الله تعالى، وكذلك تربية المؤمن على الاعتماد على الله وحده دون خوف من أعدائه.

وفيها تحذير من نسيان النعمة أو الغفلة عنها، وهذا ينعكس سلبًا على السلوك والعقيدة.

فهذا النداء يعد جزءًا من البناء التربوي الذي ترسخه السورة في نفس المؤمن، ليكون أهلاً لحمل أمانة التكليف والوفاء بالعهد.

النداء الثاني:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

تأمر الآية الكريمة المؤمنين بثلاثة توجيهات جامعة لمقامات الدين: تقوى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، والجهاد في سبيله، فتقوى الله تقتضي اجتناب ما يسخطه من المعاصي الظاهرة والباطنة، مع الاستعانة به على ذلك، تحقيقًا لمعنى الخوف والورع. أما ابتغاء الوسيلة، فهو طلب القرب من الله بكل ما شرعه من أعمال القلوب والجوارح، كالفرائض والنوافل، والعبادات الفردية والاجتماعية، الموصلة إلى محبته ورضاه. ويُخَصّ الجهاد بالذكر، لكونه من أعظم الوسائل التي يُتقرب بها إلى الله، إذ يشمل بذل الجهد في نصرة الدين ومحاربة أعدائه، بالمال والنفس والقول والعمل، مما يدل على علو منزلته ورفعة درجته في سُلَّم القربات.[42]

يشير سيد قطب -رحمه الله- إلى العلاقة الوثيقة بين قيمة الخوف من الله ﷻ والتقوى، وكذلك دور الخوف في صلاح القلوب، فيقول: «الخوف ينبغي أن يكون من الله، فهذا هو الخوف اللائق بكرامة الإنسان، أمّا الخوف من السيف والسوط فهو منزلة هابطة، لا تحتاج إليها إلا النفوس الهابطة، والخوف من الله أولى وأكرم وأزكى، على أنّ تقوى الله هي التي تصاحب الضمير في السر والعلن، وهي التي تكف عن الشر في الحالات التي لا يراها الناس، ولا تتناولها يد القانون،

42- ينظر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1، ص 230.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وما يمكن أن يقوم القانون وحده- مع ضرورته- بدون التقوى لأنَّ ما يفلت من يد القانون حينئذ أضعاف ما تناله، ولا صلاح لنفس، ولا صلاح لمجتمع يقوم على القانون وحده بلا رقابة غيبية وراءه، وبلا سلطة إلهية يتقيها الضمير».[43]

تحمل هذه الآية أبعادًا مركبة تشتمل على دعائم ثلاثة متكاملة للتزكية والتربية، وهي:

- **الأمر بالتقوى: «اتقوا الله».**

والتقوى هي حجر الزاوية في البناء الروحي والتربوي الإسلامي، وهي تمثّل حالة من الرقابة الداخليّة والخوف المحمود من الله، تدفع الإنسان إلى الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي. ومن منظور التزكية، تُعدّ التقوى غاية ومُحرّكًا، فهي ثمرة لعملية تربوية ناجحة تؤسس للوعي الديني الداخلي، الذي يُوجّه السلوك في الخفاء والعلن، والتقوى هنا ليست مجرد شعور، بل سلوك عملي تربوي دائم.

- **السعي إلى الوسيلة: «وابتغوا إليه الوسيلة».**

لفظ «الوسيلة» يشير إلى كل ما يُقرّب العبد إلى ربه من أعمال صالحة، وطاعات قلبية وجسدية. ويُفهم من هذا التوجيه أن التربية الإسلامية لا تكتفي بالجانب الوعظي النظري، بل تُفعّل الإرادة وتحفّز على السعي الدؤوب نحو القرب الإلهي. فالابتغاء فعل إرادي يتطلب بذلاً وجهدًا، وهو ما يُجسد التربية على المبادرة وتحمل المسؤولية الفردية في مسار التزكية. وفي هذا ما يُشير إلى التكامل بين البُعد الروحي والعملي في البناء التربوي الإسلامي.

- **الجهاد في سبيل الله: «وجاهدوا في سبيله»**

الجهاد هنا بمعناه الواسع يشمل مجاهدة النفس والهوى، إلى جانب مجاهدة العدو. وهو في السياق التربوي يُعبّر عن ضرورة العمل المستمر والمكابدة في طريق التزكية، فتهذيب النفس وتقويم السلوك يتطلبان صبرًا وجهادًا ومثابرة. فالجهاد ليس مجرد فريضة وقتية، بل هو نمط حياة تربوي يربط الفرد بمقصدٍ أعلى، ويُدرّبه على الانضباط والعطاء والتضحية.

43- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص881.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

و تُبرز الآية نموذجًا متكاملاً للمسار التربوي الذي رسمه الإسلام للفرد المؤمن، بدءًا من التنبيه الإيماني الداخلي (التقوى)، ومرورًا بـ السعي العملي الإيجابي (الوسيلة)، وانتهاءً بـ التحمل والمجاهدة (الجهاد). وهذه المراحل الثلاث تمثّل المحاور الأساسية في مشروع تزكية النفس كما رسمه القرآن الكريم.

ومن هنا، فإن الآية لا تقف عند حدود التنظير القيمي، بل تنقل المتلقي إلى ميدان العمل التربوي السلوكي، الذي هو جوهر بناء الفرد والمجتمع في الرؤية الإسلامية.

النداء الثالث:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

الغاية من هذا النداء التنبيه على ضرورة الابتلاء حتى تنكشف حقائق الطاعة من المعصية، ومن هنا جاء التأكيد على قضية الابتلاء، وذلك بعد أن ذكر الله تعالى النداءات السابقة جملة من القضايا التشريعية المهمة، سواء كانت مرتبطة بأمور العقيدة، أم العبادات، أم المعاملات والطيبات والمحرمات، فجاء هنا الدور للتنبيه على أنَّ المؤمن يبتلى، وذلك ليميز الخبيث من الطيب، فالابتلاء تربية وتزكية وتطهير للنفوس. وهذا من عناية الله بهذه الأمة، وسوقها إلى دورها الحقيقي في عمارة الأرض.

«إن مخافة الله بالغيب هي قاعدة هذه العقيدة في ضمير المسلم. القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وبناء السلوك، وتناط بها أمانة الخلافة في الأرض بمنهج الله القويم.»[44]

والابتلاء اختبار للوفاء بالطاعة، ومدى درجة الخشية لله بالغيب، أي: في غياب الرقابة البشرية، فالمؤمن حين يلتزم بطاعة الله واتباع أوامره، يأتي هذا الابتلاء ليكشف مدى الصدق في الوفاء بهذا الالتزام، وهل هناك مخافة لله ﷻ حين تتعارض الطاعة مع دوافع النفس.

44- سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص980

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

{فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم}، تهديد لمن لم يوفّ بميثاق الطاعة، فمخالفة العهد بعد البينات تستوجب العقوبة.

النداء الرابع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

في هذه الآية تأديب إلهي للمؤمنين، ونهي لهم عن الخوض في مسائل لا تعود عليهم بنفع، ولا يترتب على معرفتها مصلحة، إذ قد يُفضي كشفها إلى ما يسوؤهم أو يثقل على نفوسهم سماعه، فالحكمة تقتضي الإعراض عن تتبع ما خفي إذا كان في ظهوره مشقة أو كراهة.[45]

« لقد جاء هذا القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب، ولا ليشرع شريعة فحسب، ولكن كذلك ليربي أمة، وينشئ مجتمعاً، وليكوّن الأفراد وينشئهم على منهج عقلي وخلقي من صنعه، وهو هنا يعلمهم أدب السؤال، وحدود البحث، ومنهج المعرفة، وما دام الله- سبحانه- هو الذي ينزل هذه الشريعة، ويخبر بالغيب، فمن الأدب أن يترك العبيد - لحكمته - تفصيل تلك الشريعة أو إجمالها وأن يتركوا له كذلك كشف هذا الغيب أو ستره.»[46]

إنَّ الله تعالى لا يريد من السؤال أن تؤدي إلى المشقة والتعب، ولا أن يكون في السؤال إساءة أو تجريح، ولا يكون من السؤال التعريض أو التشويه، إنَّما يكون السؤال لاستظهار ما ينفعك في دينك ودنياك، أما ما سكت عنه رب العالمين، وستره الله رحمة بهم وخوفًا عليهم، فمن العنت البحث عنه.

فالآية الكريمة بما فيها من نداء للمؤمنين، وتنبيه لهم عن عدم ضبط السؤال، جاءت لترسخ مبدأ الانضباط في التعامل مع النصوص الشرعية، وتربية النفس على التأدب مع الوحي، والابتعاد عن الفضول

45- ينظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 183.

46- في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص986.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المذموم الذي يفضي إلى التضييق أو التكليف الزائد، فهي تغرس في الإنسان خلق السكينة والورع الفكري، وتدفعه إلى ضبط لسانه وفكره بما يتناسب مع مقام العبودية، وتوقير التشريع الإلهي، كما تربي على الاعتدال والوعي بالعواقب، فلا يسأل عما لا نفع فيه أو قد يترتب عليه ضرر، مما يعزز في شخصيته قيمة المسؤولية والكف واللغو، ويهذب سلوكه ضمن إطار التزكية الأخلاقية التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في بناء الفرد والمجتمع.

كما أن هذه الآية وما جاء فيها من نداء للمؤمنين الذي من شأنه أن يحرك فيهم الاستجابة لمضمونه، وما حواه من إرشاد وتربية، جاء ليرسخ مبدأ جوهريًّا من مبادئ البناء التربوي، يتمثل في التأدب مع الوحي والانضباط في التعامل مع التشريع، وهو ما يعد ركيزة من ركائز الوفاء بالعهود والمواثيق التي تقوم عليها السورة.

فالانصراف عن السؤال المفضي إلى الحرج أو الشدة، هو تربيته على القبول الهادئ للتكليف، والامتثال الحكيم لما جاء به الوحي دون غلو أو تكلف، وهي صفات أساسية لمن أراد الوفاء بعهد العبودية.

ومن ثم فإن هذه الآية تسهم في بناء إنسان واعٍ بحدود ما كلف به، ملتزم بميثاقه مع الله، حريص على أن لا يقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة من نكث العهود نتيجة التشدد والتنطع، فهي تزرع في النفس خلق التوازن، وتحفظها من الانحراف عن مقاصد الشريعة، مما يسهم في تحقيق السلوك الإيماني القائم على المسؤولية والوفاء والانضباط.

النداء الخامس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ، وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

جاء هذا النداء بالنهي عن استحلال شعائر الله تعالى، وذلك بعدم

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

استحلال حرمات الله، وتضييع فرائضة التي فرضها، ومعالم حدوده وإحلالها، وأن يحول بينها وبين من أراد فعلها، وفيها توجيهٌ حاسم بألاّ يحمل الحقد أو الكراهية المسلمين على تجاوز حدود العدل.

وفي هذا الإطارِ- القداسة والأمان- يخاطب الله المؤمنين مذكِّرًا إياهم بعهدهم معه، وداعيًا إياهم إلى الالتزام بمسؤوليتهم الكبرى في قيادة البشرية، بعيدًا عن الانفعالات الشخصية والظروف العابرة. ويأمرهم بالعدل حتى مع من أساء إليهم ومنعهم من المسجد الحرام، مشددًا على أن مشاعر الألم والعداوة لا تبرر تجاوز حدود الحق، فمكانة الأمة المسلمة تفرض عليها السمو الأخلاقي بما يليق بدورها الرسالي.[47]

وقد جاء في هذه الآية إظهار قيمة العدل المجرد، وما فيها من تربية النفس أن تترفع عن الضغائن والانفعالات، فيكون المسلم منضبطًا بشرع الله، لا بهوى النفس، إنها تربية على كبح الانفعال، والالتزام بالحكم الموضوع، حتى في ذروة الأذى، كذلك حديث الآية عن الاعتداء من خلال قوله: {ولا تعتدوا}لا يقتضي البغض إلى تجاوز حدود الله، والاعتداء على حقوقهم، وهذا التوجيه يصنع شخصية أخلاقية متزنة، تفرق بين الموقف من الفعل، وبين الموقف من الفاعل، وتؤمن بأن العدل قيمة مطلقة لا تقبل الاستثناءات، وهنا يظهر البناء السلوكي الذي يجعل المسلم محكومًا بالقيم لا بالمواقف.

والآية توجّه المسلم إلى أن يكون فاعلاً إيجابيًا في محيطه، متعاونًا فيما يعود بالنفع على المجتمع، ومعتزلاً كل ما يفضي إلى الفساد والعدوان، سواء أكان ذلك قوليًا أم فعليًا. فهي تؤسس لسلوك قيمي راقٍ، يجعل من المسلم عنصرًا إصلاحيًا لا مفسدًا، مشاركًا لا منعزلاً، ومُقيمًا للعدل لا متجاوزًا له.

فالآية ليست توجيهًا أخلاقيًا منعزلاً، بل لبنة مركزية في بناء النسق القيمي الذي تنسج السورة خيوطه، وتُعيد به تشكيل المجتمع المسلم على أساس من العدل والوفاء والتقوى والوعي الأخلاقي والسياسي، إنها تربية عملية تُترجم في السلوك، وتضبط التفاعلات

47- ينظر، في ظلال القرآن الكريم، قطب، ج2، ص 839.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الإنسانية في أدق المواقف.

النداء السادس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

يأمر الله ﷻ المؤمنين بأن يهتموا بإصلاح أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح، وبيّن أنَّ هداية الناس ليست على عاتقهم إذا أدوا ما وجب عليهم من تعلم وتعليم، إذ لا يضرهم حينها ضلال من أعرض عن الحق، وغرق في أوهام الجهل والتقليد.[48]

«فلا يتوهم من هذه الآية أنها رخصة للمسلمين في ترك الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ جميع ذلك واجب بأدلة طفحت بها الشريعة، فكان ذلك داخلًا في شرط إذا اهتديتم، ولما في قوله: {عليكم أنفسكم} من الإشعار بالإعراض عن فريق آخر وهو المبين بمن ضل، ولما في قوله: {إذا اهتديتم} من خفاء، تفاريع أنواع الاهتداء عرض لبعض الناس قديمًا في هذه الآية، فشكوا في أن يكون مفادها الترخيص في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[49]

فالآية وإن كان في ظاهرها توجيهًا للفرد بالاهتمام في نفسه وهدايتها لكنها في السياق القرآني لا تنفي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تعزز مسؤولية الفرد تجاه نفسه بعد أداء ما عليه من واجب الدعوة والإصلاح.

والآية بما تحتويه من نداء فيه تنبيه للمؤمنين، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمحور السورة العام وهو الوفاء بالعهود، وإقامة العدل والمسؤولية الجماعية والفردية، وإقامة شرع الله تعالى.

فالآية تبين أنّه على الإنسان أن يقوم بواجبه في الهداية، وأداء التكاليف الشرعية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لم يستجب له الناس فلا يضره ضلالهم طالما أنه قام بما أمر به، وعليه

48- ينظر، المنار، رشيد رضا، ج7، ص 176.

49- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج7، ص 78.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

فإنَّ الآية تؤكد محور المسؤولية الفردية داخل الإطار الجماعي، وتذكر أنَّ المرجع في النهاية إلى الله تعالى، الذي يحاسب كل فرد على عمله، مما يعمق البعد الأخلاقي والرقابي في المنظومة الإسلامية.

وهكذا فإنَّ علاقة الآية بمحور السورة تتجلى في تعزيز مبدأ الالتزام الذاتي ضمن المنظومة الجماعية للأمة، مع التأكيد على أنَّ القيام بفريضة الإصلاح لا يتوقف، حتى لو فسدت البيئة، ما دام الفرد على هدى واستقامة.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الخاتمة

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الأخيار.

بعد أن طوّف البحث بين آيات سورة المائدة متتبعًا النداءات الإيمانية المتنوعة، متأملاً في مضامينها ومقاصدها، ومحاولاً ربطها بالمحور الرئيس للسورة، تبيّن أن تلك النداءات لم تكن مجرد نداءات خطابيّة، بل هي مفاتيح لفهم المنهج الرباني في توجيه الأمة، وترسيخ مبادئ الوفاء، والعدل، والتكليف الشرعي.

وفي ختام هذا البحث - بعد الدراسة والتمحيص- أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولًا: نتائج البحث:

- تميّزت السورة بتكرار نداء «يا أيها الذين آمنوا» أكثر من أيّ سورة أخرى، حيث بلغ عددها ستة عشر نداءً، تعكس تركيز السورة على توجيه الخطاب المباشر للمؤمنين.
- كل نداء من هذه النداءات يتضمن توجيهًا تشريعيًّا أو أخلاقيًّا أو عقديًّا يعكس المحور الرئيس للسورة، وهو الوفاء بالعقود والمواثيق.
- يستخدم أسلوب النداء لتنبيه المؤمنين وتوجيههم بأسلوب محبب ومشرف، مما يرفع من شأنهم ويهيئهم لتلقي الأوامر والنواهي.
- كل نداء يمثّل محورًا جزئيًا في السورة، ويخدم بناء المؤمن من الجوانب الأربع: العقدية، العبادية، المعاملات، والتربية السلوكية والأخلاقية.
- تكرار «يا أيها الذين آمنوا» يعكس وحدة موضوعيّة وتماسكًا نصيًا داخل السورة، ما يحقق انسجامًا بين الأسلوب والمحتوى.
- لم يكن الهدف من النداءات مجرد التشريع، بل كانت أداة لتربية الأمة على الطاعة، وتذكير دائم بميثاق الإيمان.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ثانيًا: توصيات البحث:

- دعوة الباحثين للتوسع في دراسة النداء القرآني: خصوصًا ربطه بالمحاور الموضوعية للسور؛ لما في ذلك من إغناء للتفسير الموضوعي والأسلوبي معًا.
- تعزيز فهم العلاقة بين الأسلوب والمضمون في القرآن: فدراسة النداء تؤكد أن الأسلوب البلاغي في القرآن له دور جوهري في إيصال المعاني وتعزيزها تربويًا ونفسيًا.
- الاستفادة التربوية من أسلوب النداء في التربية الإسلامية: لما فيه من تحفيز وتنبيه وإشعار بالمسؤولية، مما يساعد في بناء الشخصية المسلمة.
- التركيز على سورة المائدة في المناهج التعليمية: لما تحمله من مضامين تشريعية وأخلاقية يمكن أن تؤسس لوعي إيماني ومسؤولية مجتمعية.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المصادر والمراجع

- ابن عاشور، محمد. (١٩٨٤م). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، عبد الحق. (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عقيل، عبد الله. (١٤٠٠هـ). شرح ابن عقيل ألفية ابن مالك. (ط٢٠). القاهرة: دار التراث.
- الألوسي، محمود. (١٤١٥ هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- بركات، إبراهيم. (١٤٢٨هـ). النحو العربي. (ط١). مصر: دار النشر للجامعات.
- البقاعي، إبراهيم. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- بيه، هنية. (٢٠١٦-٢٠١٧م)، النداءات الربانية في سورة المائدة (رسالة ماجستير). الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي.
- الجبالي، معن. النداء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية.
- الجوهري، إسماعيل. (١٤٠٧هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (ط٤). بيروت: دار العلم للملايين.
- حنبل، أحمد حنبل. (١٤٢١ هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. (ط١). مؤسسة الرسالة.
- الراغب الأصفهاني، الحسين. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط١). دمشق، بيروت: دار القلم.
- الرازي، محمد. (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب. (ط١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزركشي، محمد. (١٣٩١هـ). البرهان في علوم القرآن. بيروت: تحقيق: دار المعرفة.
- الزمخشري، محمود. (١٩٩٣م). المفصل في صنعة الإعراب. (ط١). بيروت. مكتبة الهلال – بيروت.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

- السبكي، أحمد. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. (٢٠٠٣م). المكتبة العصرية.
- عباس، فضل. (١٩٩٧م). البلاغة فنونها وأفنانها. دار الفرقان.
- السعدي. عبد الرحمن. (١٤٢٠هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ط١). مؤسسة الرسالة.
- الصبان، محمد. (١٤١٧هـ). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- زكي، صفوت. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. بيروت: المكتبة العلمية.
- الطبري، محمد. (٢٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. (ط١). مؤسسة الرسالة.
- الطنطاوي، محمد. (١٩٩٧م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. (ط١). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- عفيف، عبد العزيز. علم المعاني والبيان. دار النهضة.
- القاسمي، محمد. (١٤١٨هـ). محاسن التأويل. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت.
- قطب، سيد. (١٤١٢هـ). في ظلال القرآن الكريم. (ط١٧). بيروت-القاهرة: دار الشروق.
- رشيد رضا، محمد. (١٩٩٠م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- المهايمي، علي. تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن. بيروت: كتاب - ناشرون.
- النسائي، أحمد. (١٤٢١هـ). السنن الكبرى. (ط١). بيروت مؤسسة الرسالة - بيروت.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM